# مسيرة أدب الطفل.. كتابةً ونقدًا

**أ. عبده الزرآع**

يعد أدب الأطفال من الفنون الحديثة فى الأدب العربى والعالمى، ومن هنا فلا مندوحة ـــ بداية ـــ عن تحديد المقصود بأدب الأطفال ـــ المصطلح ـــ والحديث عن جذوره ونشأته وتطوره.

لا يختلف أدب الأطفال فى مفهومه عن الأدب عموما إلا فى كونه موجهًا إلى فئة خاصة هى الأطفال، وهذه "الفئة تتميز بمستوى عقلى معين، وبإمكانيات وقدرات نفسية ووجدانية تختلف عنا نحن الكبار، فتجارب الطفولة وميزاتها محددة، وآفاقها التخيلية واسعة رحبة، لا تحدها حدود، ولا تحاصرها ضوابط كضوابطنا نحن الكبار، ووسائلهم فى البحث والتفكير والتحليل والاستيعاب ليست كوسائلنا الناضجة التى اكتسبناها بالمران والتجربة الطويلة، والثقافات المتنوعة".

ويعرف أدب الأطفال على أنه "نوع أدبى متجدد فى الأدب الحديث، يتوجه لمرحلة عمرية متدرجة من عمر الإنسان، يكتبه الكبار للصغار فى الفنون النثرية والشعرية المتنوعة فى لغة تتناسب وجمهور الأطفال، وليس عنهم، ومن أهم روافد أدب الطفولة فى أى لغة الحكايات : الشفاهية والشعبية، ويهدف النص الأدبى فى سائر قوالبه إلى الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية".

يجمع الباحثون على أن أدب الأطفال فى العصر الحديث ظهر فى فرنسا فى القرن السابع عشر، على يد الشاعر تشارلز بيرو (١٦٢٨ ـــ ١٧٠٣) العام ١٦٩٦، فقد كتب ثمانى قصص خيالية للأطفال، بعنوان : "حكايات أمى الأوزة" وكان قد نشرها باسم مستعار هو اسم ابنه، وسجل بيرو بهذا نقطة البداية لأدب الأطفال المعروف فى العالم الحديث".

وقد جاء من بعده جان جاك روسو (١٧١٢ ـــ ١٧٧٨) والذى اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وله شخصيته المستقلة ونادى بأن هدف التربية هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش، وأن تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية، ثم جاء لافونتين الفرنسى (١٩٢٠ ـــ ١٦٩٦) والذى كتب حكاياته الخرافية مستفيدًا من كليلة ودمنه، وألف ليلة وليلة، بعد أن ترجمت إلى الفرنسية عام ١٧٠٢، وإيسوب، ولقمان، ويقف فى مقدمة من كتبوا الشعر للأطفال، جريم الألمانى الفقيه اللغوى، كتبت له حكاياته الشعبية ـــ التى سميت بحكايات البيت الألمانية ـــ والتى نالت شهرة واسعة، لا تقل عن شهرة أبحاثه اللغوية، كما كتب أيضًا هانز كريستيان أندرسون الدينماركى (١٨٠٥ ـــ ١٨٧٥) حكاياته الخرافية أيضا مستفيدًا من ترجمة ألف ليلة وليلة، وحسب رأى الدكتورة سهير القلماوى "أمد الأدباء بعالم وافر من الشخصيات والحوادث والمناظر، ولما كانت قصصه شعبية، ولما كان أدب الأطفال مازال ناشئًا وليد فى الأمم الغربية، فقد استعان كثير من مؤلفى قصص الأطفال بما فى هذا الكتاب من أدب قريب المنال متجه إلى السذاجة والبساطة التى هى من أخص مميزات قرائهم الأطفال أكثر من اتجاهه إلى مميزات العقل والعواطف المركبة واستعان أشهر كتاب أدب الأطفال بـ "ألف ليلة وليلة" فهذا هانز أندرسون الدنماركى الذى ترجمت قصصه للأطفال إلى كل لغات أوربا، يقول

المؤرخون عنه إن أدبه نبع مما كان يقصه عليه أبوه صانع الدمى الخشبية من قصص دنماركية شعبية، ومما قرأ فى ألف ليلة وليلة"

وفى مجال الشعر كذلك كتب وليم بليك، أغانى الأبرياء (١٧٨٩) وكتب إدوارد لير، الأغانى التوفيقية عام ١٨٤٦، وفى ألمانيا يكتب هوفمان أغانى للأطفال عام ١٨٤٦ أيضًا.

بدأ الاهتمام بأدب الأطفال فى العالم العربى فى أوائل عام ١٨٧٥، وكان أول من قدم كتابًا مترجمًا للأطفال هو رفاعة رافع الطهطاوى، فترجم "حكايات الأطفال وعقلة الإصبع" وأدخل قراءة القصص فى المناهج الدراسية "حيث كانت أدبيات الطفل ـــ يومئذ ـــ ماتزال مقرونة بالتربية فى إطارها التعليمى، فقد قام بغرس البذور الأولى فى تربية أدب الطفل العربى الحديث، عندما أصدر كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" ويدلنا عنوانه بداية على التوجه التربوى المباشر من ناحية، وعلى غاياته الوعظية من نصح وإرشاد من ناحية أخرى، وفى ضوء ذلك فإنه آمن باحتياجات الطفولة العاطفية والخيالية والترويحية، فأدخل قراءة القصص والحكايات فى منهج الدراسة الابتدائية لتلاميذ مدارس المبتديان فى عهد محمد على بمصر، وقد اعتمد الطهطاوى على الترجمة فيما قدم.

وأعقب محاولة الطهطاوى التى أشرنا إليها آنفًا، الأديب المصرى محمد عثمان جلال (١٨٣٨ ـــ ١٨٩٨) حيث توافر على ترجمته زهاء مائتى حكاية شعرية من حكايات لافونتين فى كتابه (العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ) "وكان عثمان جلال يجيد الفرنسية حتى أن مؤلفاته فى جملتها ترجمة عن هذه اللغة وهى تناهز عشر مؤلفات بين مسرح ورواية وأقصوصة وأرجوزة.. إلى جانب نظمه ديوانًا من الشعر والزجل والفكاهات".

ويقول أحمد سويلم فى كتابه "أطفالنا فى عيون الشعراء" ويمكننا أن نقول بارتياح شديد إن عثمان جلال قد نقل ـــ أو عرّب ـــ الحكايات عن لافونتين وألبسها ثوب الروح المصرية.. واللغة العربية القريبة من الاستعمال اليومى ـــ وهذه درة لا تتوفر للكثيرين ـــ وقد أجمع النقاد ـــ ومنهم العقاد وغنيمى هلال ـــ أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيها معالم الروح الفرنسية.. وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد، وهذا فضل يضاف إلى فضل إدخال هذا اللون إلى العربية.

وعندما أصدر أحمد شوقى ديوان "الشوقيات" فى طبعته الأولى عام ١٨٩٨، ألفينا بين دفتيه بابًا للحكايات والقصص الشعرية للأطفال؛ فكان ذلك بمثابة بداية حركة التأليف الأدبى للأطفال، وقد أثبت أحمد شوقى فى مقدمة ديوانه أنه تأثر بأسلوب نظم لافونتين لحكاياته دون إشارة منه لمحاولة محمد عثمان جلال الرائدة فى "العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ"، يقول أحمد شوقى فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات : "وجربت خاطرى فى نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين، مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة من منظومات قريبة التناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم" ويحث صديقه الشاعر خليل مطران للتعاون فى إرساء قواعد جديدة لأدب الطفل فيذكر " ولا يسعنى إلا الثناء على صديقى ـــ خليل مطران ـــ صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج فى نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على

إدراك هذه الأمنية" ولم تحظ دعوة أحمد شوقى بتأييد من الشعراء ـــ آنذاك ـــ بمن فيهم خليل مطران نفسه، "ويبدو أن أذهان الأدباء والشعراء لم تكن مهيأة لتقبل دعوة شوقى، حتى أن شوقى نفسه انصرف عن كتابة الشعر للأطفال، والناشئة، ربما بسبب الانتقادات التى كانت توجه لمن يكتب للأطفال، فعلى سبيل المثال، عندما كتب الشاعر العراقى معروف الرصافى (١٨٧٧ ـــ ١٩٤٥) "تنويمة الأم لطفلها العام ١٩٢٣ فى مجلة المرأة الجديدة، تعرض لانتقادات بعض الشعراء وكان من بينهم الشاعر جميل صدقى الزهاوى" (١٨٦٣ ـــ ١٩٣٦)".

بعد ذلك تغيرت نظرة الوطن العربى إلى مرحلة الطفولة، ولكن بتأثير من نظرة العالم الغربى المتقدم، واهتمام المنظمات العالمية بالطفل وكل ما يهمه، "ويمكن القول بأن أدب الأطفال المكتوب لم يأخذ سمته الحقيقى فى اللغة العربية ويستوى على عوده فنًا من الفنون الأدبية إلا فى العقد الثالث من القرن العشرين، فقد ظهر فيه نتاج أول علمين من أعلام الكتابة للأطفال فى تاريخ العربية نظمًا ونثرًا، فقد بزغ فى أوله محمد الهراوى (١٨٨٥ ـــ ١٩٣٩)، وفى آخره كامل كيلانى فى (١٨٩٧ ـــ ١٩٥٩)".

ويعد محمد الهراوى من أوائل من انصرفوا بجد وإخلاص إلى شعر الأطفال، خاصة أنه كان قريبًا منهم، فقد كان يعمل فى دار الكتب التابعة لوزارة الأوقاف.

عاش الهراوى عصر الاستعمار البريطانى الذى يعمل جاهدًا على تلوين الثقافة والتعليم بما يخدم أغراضه، ومن ثم بدأ الهراوى فى مقاومة هذا الاتجاه عن طريق كتابة أشعار للأطفال مستمدة من دينهم وأدبهم العربى وتاريخهم العريق، وحاضرهم المناضل، مما جعل وزارة المعارف تقرر دواوينه على مدارسها المختلفة.

بدأ الهراوى تجربته على مستويات الأطفال المختلفة من الإدراك والاستيعاب محاولاً أن يكتب لكل مرحلة من العمر ما يناسبها من الأشعار وهى محاولة يجهد الكاتبون اليوم أنفسهم فى الوقوف عليها وتقديم كتاباتهم فى ظلها.

كتب الهراوى سمير الأطفال للبنين (٣ أجزاء)، وسمير الأطفال للبنات (٣ أجزاء)، وأغانى الأطفال والسمير الصغير وديوان الطفل الجديد ملحق به رواية الذئب والغنم (تمثيلية غنائية بالشعر فى فصل واحد)، وديوان من الشعر الدينى بعنوان : أبناء الرسل مستمدًا من القرآن والكتب المقدسة، أصدر الهراوى هذه الأعمال الشعرية مزينة بالصور ـــ صفحة للقصيدة، وصفحة مصورة توضيحية ـــ ولهذا أقبل الأطفال على هذه الأعمال فى نهم شديد".

وفى ميدان القصة والنثر بدأ الرائد المصرى كامل كيلانى ينشر أعماله الكثيرة منذ عام ١٩٢٧، مقتبسًا ومترجمًا، فقدم جاليفر وربنسون كروزو، بجانب أعمال مأخوذة عن "ألف ليلة وليلة" وألف أول مكتبة للطفل العربى تربو على مائتى قصة فى مراحل الطفولة المختلفة، وكان يذيل قصصه بالشعر المعبر عن فحوى ومضمون القصة.

وفى العراق قامت نهضة أدبية للطفل فى أواخر ثلاثينات القرن الماضى عندما نظم الشاعر معروف الرصافى منظومات شعرية خفيفة فى المجلات المدرسية، ونشرت مجلة الفنون البغدادية قصيدة "الشمس عام ١٩٢٩"، قصيدة "الوطن"، وقصيدة "الرفق بالحيوان" فى عام

١٩٣٢، ثم محاولة معروف الرصافى فى نشر مقطوعاته الشعرية على ألسنة الحيوان عام ١٩٢٢.

وفى عام ١٩٣٤ أصدر الأب نيقولا المخلص كتابه "أمثال لافونتين" والذى تضمن زهاء مائة وثمانى عشرة خرافة من خرافات لافونتين فى نظم شعرى يقوم على محاكاة شبه كاملة لحكايات لافونتين الخرافية، وتعد محاولة الأب نيقولا المخلص أبرز البدايات فى أدب الطفل فى لبنان.

كما أن محمد سعيد العريان كتب "حكايات سندباد" على نسق ألف ليلة وليلة، ومجموعة من القصص المدرسية بالاشتراك مع زميليه دويدار ومحمد زهران، وكان هذا النتاج القصصى يتناغم مع جهود الهراوى وكامل كيلانى فى الشعر والقصة الشعرية، وحاز جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال، والتى منحت له لأول مرة عام ١٩٦٣، وجاءت أيضا تجربة عادل الغضبان وبرانق، والإبراشى مكملة لهذه المرحلة الرائدة.

وفى عام ١٩٤٤ أصدر محمد محمود رضوان مجموعة مسرحيات دينية لتلاميذ المدارس فى قالب فنى؛ مما شجع حركة التأليف للمسرح المدرسى.

أما فى سوريا فقد تأخر ظهور أدب الأطفال إلى مطلع الستينات وإن كانت هناك محاولات قليلة قبل ذلك، فقد ظل هذا الأدب يسير بخطى بطيئة حتى وقعت نكسة يونيو ١٩٦٧، فكانت درسًا للعرب وأحسوا على إثرها أنهم أهملوا أطفالهم، فبدأ الشعراء والكتاب يؤلفون للأطفال ـــ ليكونوا من خلال كتاباتهم وترجماتهم جيلاً عربيًا واعيًا ـــ كسليمان العيسى، وزكريا تامر، وعادل أبو شنب، وعبدالله عيد، ودلال حاتم، عيسى فتوح فكتب زكريا تامر (ولد العام ١٩٣١) حوالى مائة قصة للأطفال، وأصبح هم سليمان العيسى (ولد العام ١٩٢١) الكتابة للأطفال، فقد بدأت تجربته الشعرية للأطفال بعد هزيمة ١٩٦٧.

وبدأ الاهتمام بأدب الطفل فى العراق تقريبًا العام ١٩٦٨ فى الفترة نفسها التى بدأ الاهتمام به فى سوريا، وبدأ من الأدباء : عبد الرازق الربيعى، شفيق مهدى، عبد الرازق المطلبى، شجاع العانى، فاروق يوسف، فاروق سلوم، وغيرهم.

وفى المغرب العربى كان أدب الطفل يأتى إليه من مصر وسوريا والعراق، فظهر فى تونس : محمد العروسى المطوى، محمد المختار، والجيلانى بن الحاج، التوينجى، وفى ليبيا : يوسف الشريف، محمد فهمى، وفى المغرب : الشاعران علال الفاسى، على المصلى، وفى الكتابة والنقد العربى بن جلون.

وتأثر أدب الأطفال فى الخليج العربى ـــ دول مجلس التعاون الخليجى ـــ بأدب الأطفال فى مصر وسوريا والعراق، ويمكن القول: إن الازدهار الحقيقى لأدب الأطفال المطبوع بدأ فى الخليج من العام ١٩٨٠، ويلاحظ أن إسهام المؤلفين العرب بالنصيب الأكبر فى مجال التأليف للطفل فى المملكة العربية السعودية كان بارزًا وواضحًا وقد ظهرت إلى جانب ذلك، أسماء سعودية أمثال : يعقوب اسحق، وفريدة فارس، وحسن الغالبى، وظهرت فى البحرين مجموعة من الكتاب أمثال : عبدالقادر عقيل، فوزية رشيد، وحمده خميس، والشاعر على الشرقاوى، وبرز فى قطر من الكتاب : على حسين، وهشام ناصر، إبراهيم بشمى، أما فى الكويت : فكان

القاص والشاعر محمد الفايز، محمد كعوش، وغيرهما.

وفى الإمارات حينما ننظر إلى المشهد الأدبى الموجه للطفل سنرى أنه اهتم بالشعر والقصة، وإن نلاحظ الندرة فى المطبوعات وعدم الاهتمام من الكتاب والأدباء بالكتابة إلى الطفل، وسنرى فى مجالات الشعر أن هناك قصيدة موجهة للطفل خاصة فى المناسبات الوطنية، وأن من يكتب الشعر الموجه للطفل هن شاعرات بالأساس يعملن فى مجال التدريس ولربما يتعاطين الشعر لقربهن من الأطفال، لأن معظمهن غير موجودات فى ساحة الشعر، ويصعب رصدهن فى ببليوجرافيا الشعراء لبهوت المشهد وبهوت الوجود، وأشهر من كتبت شعرًا للطفولة فى الإمارات هى الشاعرة هاله معتوق وطبع لها ديوان شعر من إصدارات دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ودار الجليل للطباعة والنشر تحت اسم "قطار ليلى".

وفى مجال القصة الموجهة للطفل سنلحظ نفس البهوت، وأن هناك من يكتبن أيضًا للطفل من مدرسات التربية والتعليم، ولكن ليس هناك إصدارات يمكن متابعتها والمشهد لا يكتنز بالكثير، ومن أشهرهم : د. لطيفة النجار، عبدالرضا السجوانى، أسماء الزرعونى، ولكن اللافت فى تجربة الكتابة الموجهة للطفل فى الإمارات هو بروز كاتبات صغيرات رعتهن مؤسسات تهتم بالطفل وأدبه.

بدأ الاهتمام بأدب الطفل فى الأردن وفلسطين متأخرًا، حيث ظهر ـــ فعليًا ـــ بشكل واضح فى السبعينات من القرن الماضى، وبرز من كتاب الأطفال : أحمد حسن عرقوب، مفيد نحلة، فخرى قعوار، محمد شفير، زليخة أبو ريشة، روضة الهدهد، عماد زكى، أحمد جبر، ومن الشعراء : إبراهيم نصر الله، يوسف حمدان، على التبرى، يوسف العظم، راشد عيسى.

أما اليمن فقد بدأ أدب الأطفال فعليا مطلع السبعينات، من القرن الماضى وزاد النشاط بشكل ملحوظ فى أواخر الثمانينات ظهر فيها : عبدالمجيد القاضى، زهرة رحمة الله، والشاعر إدريس بن حنبلة، وأديب قاسم.

لازال الاهتمام النقدى لأدب الأطفال فى الوطن العربى ضعيفًا، ولا يتوازى بأية حال مع ما يطبع من إصدارات متنوعة بين الشعر والقصة والرواية والمسرحية الموجة للطفل العربى، وظل النقاد منصرفون عن نقد أدب الأطفال إلى نقد أدب الكبار باعتباره الأدب الأهم ـــ من وجهة نظرهم ـــ ورغم ندرة النقاد المشتغلين بأدب الأطفال، إلا أن هناك إسهامات نقدية جادة ورائدة فى مجال أدب الأطفال العربى لا يمكن إغفالها، وسوف نركز على جهود الرواد فى هذا المجال ممن لهم اسهام ملحوظ، ويدهش المرء لعدم إسهام الأقلام النقدية الكبيرة فى نقد أدب الأطفال، أو تتبع النتاج المعاصر للمبدعين فى حقل أدب الأطفال منذ دعاهم للكتابة أمير الشعراء أحمد شوقى، لكن أغلبهم لا يزال مترددًا أو صامتًا، أما البحوث والأطروحات الجامعية فتكاد تعد على (أصابع اليد)، وهناك محاولات رائدة بدأت من أخريات الأربعينات من القرن الماضى، كانت البيئة العربية تلتفت إلى جانب حيوى يتصل بالدراسات العامة لمعرفة الخصائص الدالة على أدب الطفل كجنس أدبى له علاقات ترابطية بعلوم شتى كعلم نفس النمو، ونظريات التربية الحديثة، وسيكلوجية القراءة، ومباحث الانقرائية، ومع هذه العلوم برزت نتائج جديدة خاصة باللغة، وتحليل محتوى (مضمون) أدبيات الأطفال، وبالتالى ظهرت المؤلفات فى المكتبة العربية إلى تناول القضايا الرئيسية لأدب الطفل.

فى البداية أصدر الباحث محمد لطفى أول دراسة عربية بالقراءة والانقرائية عند الطفل متضمنة نتائج بحوث ميدانية أجراها على الطفل المصرى، وأوضحت تلك الدراسة الرائدة العوامل التى تؤدى إلى سهولة أو صعوبة المادة المقروءة مثل بُعد المادة المقدمة للطفل عن مجال خبراته، وتقديم مفردات لغوية غير مألوفة لديه، وتعقيد وتركيب الجمل والفقرات، ثم صعوبة أفكار المادة المقروءة على إدراك الطفل، وأفادت الدراسة كتاب الأطفال فى إمكانية توخى السهولة وتبسيط المعجم اللغوى، وليس من شك أننا واجدون عشرات المقالات الخاصة بالقراءة والانقرائية قبل أن ينشر محمد لطفى دراسته.

والمحاولة الثانية فى مجال المؤلفات العامة ذات العلاقة بأدب الطفل ظهرت فى مصر عام ١٩٥٦ من خلال كتاب "القصة فى التربية" وهو من الكتب التى أسهمت بفاعلية فى تحريك الأدب إلى عالم الحسم فى التربية الوجدانية للطفل، وقد وضع مؤلفه أسس العلاقة بين الأدب والتربية من خلال الأدب كوسيلة وجدانية مؤثرة، وقد ناقش الكتاب أهمية النص الأدبى فى بناء شخصية الطفل مع تعرض الكتاب للقواعد الفنية للنص، وأساليب وعناصر الحكاية فى مجال أدب الطفل.

## أحمد نجيب :

أما أولى المحاولات الجادة فى مجال أدب الأطفال، فجاءت على يد الكاتب المصرى أحمد نجيب، والذى وضع كتاب "فن الكتابة للأطفال" عام ١٩٦٨، ويضم الكتاب بعض المحاضرات التى ألقيت فى البرنامج التدريبى الذى عقدته وزارة الثقافة المصرية لكتاب الأطفال فى مطلع العام ١٩٦٨، يعرض الكتاب لمراحل الطفولة، واللغة فى أدب الأطفال والقصة وأنواعها، والشعر وخصائصه وأقسامه ويركز على دور الوسيط فى إيصال المادة للأطفال كل ذلك بأسلوب مختصر، فى حين أنها تتطلب العمق والتأصيل، وبخاصة ما يلائم كل طور من أطوار مرحلة الطفولة من أنواع أدبية، ويحسب لهذا الكتاب أنه نبه إلى بعض الأسس والمعايير التى تصلح للحكم على النصوص أو الأنواع الأدبية، والإشارة إلى ما يلائم تذوق الطفل، واستيعابه لتقنيات الطباعة المستخدمة فى إعداد كتب الأطفال.

وقد أراد الكاتب من هذا الكتاب أن يكون بداية سلسلة من الدراسات فى أدب الأطفال، وبالفعل عمل على تحقيق ذلك من خلال إصداره للكتب التالية :

١ـــ المضمون فى كتب الأطفال، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٩.

٢ـــ اتجاهات معاصرة فى كتب الأطفال، المركز القومى للبحوث، القاهرة، ١٩٧٩.

٣ـــ القصة فى أدب الأطفال، جمعية المكتبات المدرسية، القاهرة، ١٩٨٢.

٤ـــ أغانى الأطفال الشعبية فى ٢١ لغة من لغات العالم ١٩٨٣.

٥ـــ أدب الأطفال علم وفن ١٩٩٤.

٦ـــ أدب الأطفال مبادئه ومقوماته الأساسية، مقرر فى دور المعلمين، القاهرة.

٧ـــ أدب الأطفال، كتاب مقرر فى وزارة التربية والتعليم، القاهرة.

## على الحديدى :

يعد على الحديدى ناقد مصرى من رواد دراسات أدب الأطفال، وذلك من خلال إصداره لكتاب : "فى أدب الأطفال" والكتاب فى مجمله دراسة حول الأدب والطفل بشكل عام، والأدب القصصى والطفولة بشكل أدق، وأثبت الكاتب من خلاله أن أدب الأطفال قديم قدم أدب الكبار، إلا أنه لم يحظ بالتدوين أو الدراسة أو الاهتمام كأدب الكبار، لأسباب عدة منها : أن أدب الأطفال كان فى بعض الأحيان تبسيطًا لأدب الكبار، علاوة على أن أدب الأطفال اقترن بالأدب الشعبى، وبما أن الأدب الشعبى لم يبدأ تدوينه إلا فى القرن الثامن عشر، فمن الطبيعى أن يكون تدوين أدب الأطفال متزامنًا مع هذه المرحلة أو متأخرًا عنها.

ولا ينكر جهد المؤلفين فى تتبع نتاج أدب الطفل ـــ وبخاصة الأدب القصصى ـــ وهو من أول ما قدم من دراسات أدبية تربوية للمكتبة العربية فى مجال أدب الأطفال، وبرغم ذلك فإن الكتاب لم يعمق بعض القضايا التى طرحها (كموضوع الشعر والأطفال) الذى قدمه المؤلف فى صفحات قليلة متسرعة من كتابه، ويبدو أن الفكرة الأصلية كانت قائمة فى أساسها على أجناس أدبية محددة مثل القصص والحكايات فى الإطار الفنى والتربوى، كما أن المؤلف توسع فى عدد الموضوعات والقضايا التى طرحها فى كتابه، وبرغم هذا فقد ألفينا فى فصول هذا الكتاب الرؤى المتجددة حول الأدب العلمى والتاريخ الأدبى لهذا الجنس الأدبى المستحدث (أدب الأطفال).

وقد اتبع الكاتب أسلوبًا علميًا فى مناقشة القضايا من حيث توثيق المادة التى يناقشها من مصادرها ومراجعتها، كما اهتم بتحليل القضايا التى يطرحها، لذلك عدد من أهم الكتب التى ألفت فى هذا المجال، ويتميز عن كتاب أحمد نجيب ـــ فن الكتابة للأطفال ـــ بالتوثيق والتحليل الذى قلما يرد عند أحمد نجيب.

## هادى نعمان الهيتى (ولد العام ١٩٤٢) :

يعد هادى الهيتى ـــ ناقدًا عراقيًا ـــ من الباحثين المتقدمين فى مجال أدب الأطفال وصحافتهم فقد صدر له الكتب والبحوث الآتية :

١ـــ أدب الأطفال، فلسفته وفنونه ووسائطه عام ١٩٧٧.

٢ـــ أدب الأطفال بين المرونة والتعصب، بحث فى مجلة الطفولة والتنمية عام ٢٠٠١.

٣ـــ ثقافة الأطفال، المجلس الوطنى، عالم المعرفة، الكويت.

٤ـــ الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة، مجلة الطفولة والتنمية ٢٠٠١.

٥ـــ الاتصال الجماهيرى حول ظاهرة الاعاقة بين الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية ٢٠٠٢.

أما بالنسبة لكتاب "أدب الأطفال" فقد جعله أربعة أبواب :

١ـــ جمهور أدب الأطفال من حيث خصائصه، واستجابته للأشكال والمضامين الأدبية.

٢ـــ تعريف أدب الأطفال ونشأته.

٣ـــ فنون أدب الأطفال.

٤ـــ وسائط أدب الأطفال وخصائص كل وسيط.

والكتاب فى مجمله إضافة جديدة فى ميدان أدب الأطفال، فالكتاب يتسم بغزارة مادته وتنوع مقصدها، فقد استعرض المؤلف فى كتابه (الوسائط) الأدبية كالكتب والموسوعات والمعاجم والوسائط الإعلامية، كالصحافة العامة والصحافة المتخصصة للطفل، والبرامج المسموعة والمرئية، وكنا نود لو احتفل المؤلف بدراسة الأجناس الأدبية، وكذلك مسرح الطفل (دراسة أدبية متعمقة) على نحو ما تناول فى عمق وتحليل مفاهيم جمهور الطفولة والميول القرائية والوسائط الإعلامية والثقافية وغيرها من الموضوعات ذات العلاقة بالطفل، ومهما يكن من شىء فإن صوت شعر الأطفال فى هذا الكتاب الذى يحمل عنوانًا أدبيًا براقًا (أدب الأطفال) لم يشغل سوى بضع صفحات من الباب الثالث، ويبدو أن مؤلفه قد تدارك ذلك فى كتاب جديد اسمه "ثقافة الأطفال" والذى صدر عام ١٩٨٨، وأزعم أنه إضافة قيمة للدراسات الأكاديمية حول أدب الطفل العربى.

## عبدالرازق جعفر(ولد فى العام ١٩٤٧) :

وهو ناقد سورى صدر له مجموعة من الكتب والدراسات فى أدب الأطفال، وأهمها :

١ـــ أدب الأطفال، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٧٩.

٢ـــ الحكاية الساحرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

٣ـــ أسطورة الأطفال الشعراء، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢.

يقف فى كتابه (أدب الأطفال) على معنى الأدب والطفولة ويتحدث ـــ بشكل موجز ـــ عن ظهور أدب الأطفال فى العالم العربى، بينما يركز على أدب الأطفال الأجنبى، من حيث ميدانه، وأهدافه، شروطه ومؤتمراته، وبعض كتابه البارزين، وأهم إنجازاتهم الأدبية، وقد جعل الكتاب ثلاثة أبواب :

١ـــ ما هو أدب الطفل.

٢ـــ أدب الأطفال الكلاسيكى.

٣ـــ ميادين أدب الطفل.

وقد اقتصر فى مجال حديثه عن أدب الأطفال العربى على ذكر شوقى، وكامل كيلانى، كما أنه لم يذكر الجهود النقدية التى سبقته والتى قام بها أحمد نجيب، وعلى الحديدى، وهادى الهيتى،

على الرغم من تميز هذه الأعمال وريادتها، وخلاصة رأيه فى أدب الأطفال العربى إنه مازال متعثرًا، يحتاج أن يفتح أبوابه على الأدب والنقد الغربى، ويعرض لتجارب فى فرنسا وانجلترا والاتحاد السوفيتى سابقًا والدانمارك، للإفادة منها فى التجربة العربية المتواضعة، وينطبق هذا الرأى على أدب الأطفال العربى حتى العام ١٩٧٩.

## أحمد زلط :

يعد الباحث أحمد زلط ـــ ناقدًا مصريًا ـــ من الباحثين المتخصصين فى أدب الأطفال العربى ونقده، فقد أصدر مجموعة من الكتب والدراسات، منها :

١ـــ أدب الأطفال وثقافته، وبحوثه فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢ـــ الطفل مبدعًا، قراءة نقدية فى إبداع الطفل العربى.

٣ـــ معجم الطفولة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٤ـــ رواد أدب الأطفال.

٥ـــ أدب الطفولة بين كامل كيلانى ومحمد الهراوى.

٦ـــ شعر الطفولة فى الأدب المصرى الحديث ١٩٩٠.

٧ـــ أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه ١٩٩٢.

٨ـــ ديوان السنهوتى للأطفال ١٩٩٢.

سيتم الحديث باختصار عن معجم الطفولة، لأنه عمل رائد فى هذا المجال حيث إنه أول عمل من هذا النوع ـــ فى أدب الأطفال ـــ فى اللغة العربية.

يعرض هذا المعجم لمفاهيم لغوية ومصطلحية فى أدب الأطفال، وتربيتهم وفنون أدب الأطفال وثقافته، ويضم هذا المعجم المتخصص بين دفتيه محاولة أولى لوضع القواعد الاصطلاحية لأدبيات الطفولة فى نهج أكاديمى، وقد اتبع فى تصنيفه الأسلوب العلمى القائم على المنهج الاستقرائى فى القياس والاستنباط، مع تغليب المفهوم العربى اللغوى والاصطلاحى على الأجنبى.

## إبراهيم صبيح :

باحث أردنى أصدر كتاب : الطفولة فى الشعر العربى الحديث العام ١٩٨٥، والذى هو فى الأصل أطروحته لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة الأزهر، وقد تحدث فيه عن الشعر العربى المقدم للأطفال فى أربعة أبواب : أدب الأطفال المفهوم والتطور، وموضوعات أدب الأطفال، وأخيرًا الشعر المسرحى فى أدب الأطفال.

كما قدمت هدى محمد أحمد باطويل عام ١٩٩٣ ـــ باحثة سعودية ـــ دراسة بعنوان : "الإنتاج الفكرى المطبوع للطفل فى المملكة العربية السعودية من العام ١٩٨٥"، وقد تناولت

هذه الدراسة عدة مواضيع منها : الاهتمام بالطفل، والتأليف للطفل، وتطور أدب الأطفال فى العالم، ثم تناولت الإنتاج الفكرى المطبوع للطفل فى السعودية، وحركة نشر كتب الأطفال، ودراسة عددية وتقويمية للإنتاج المطبوع للطفل فى السعودية.

## أحمد سويلم :

شاعر وباحث مصرى أصدر عام ١٩٨٥ دراسة هامة حول شعر الأطفال جعل عنوانها "أطفالنا فى عيون الشعراء" وهى من المؤلفات الأدبية المعاصرة التى تناولت أدب الطفل بعامة وشعر الطفل بخاصة، وقد فتحت هذه الدراسة العامة الأبواب الموصدة أمام المبدعين والدارسين حول الطفل وأدبه، ومن خلال رؤية إبداعية تتناول القضايا الخاصة بهذا اللون الأدبى، ولا يعيب تلك الدراسة ـــ فيما أرى ـــ سوى تناولها المتعجل لموضوعى : مفهوم الأدب، وشعر الأطفال فى التراث العربى، والمرجح أن المؤلف لم يف هذين الموضوعين حقهما من التأريخ والتحليل، وليس معنى ذلك أن الدراسة قد أخفقت فى طرح باقى قضاياها الخاصة بشعر الطفولة، بل تعدها ـــ فى ضوء تناولها لباقى موضوعات الدراسة ـــ أقرب الدراسات العامة المعاصرة إلى أدب الطفل العربى بمعناه الفنى، نجح الشاعر / المؤلف ـــ ربما عن قصد ـــ فى الابتعاد عن الحشو التربوى والإعلامى المتكررين فى معظم الدراسات السابقة، وتوجه إلى فن الشعر ـــ شعر الأطفال ـــ يعرض لبعض نماذجه من خلال تناوله لنتف مختارة فى الأدبين القديم والجديد.

ومن هذا الرصد التاريخى لحركة نقد أدب الأطفال فى الوطن العربى، نجد أنها لازالت محاولات قليلة جدًا مقارنة بما هو مطروح من إبداعات طفولية منشورة فى شتى ألوان أدب الأطفال، وأن الساحة النقدية العربية فى هذا المجال الهام لم ترسخ لنظرية نقدية خاصة بأدب الأطفال، بل هى محاولات فردية وجهود ذاتية، يغلب على معظمها الطابع الأكاديمى بما أن جل هذه الدراسات أطروحات للحصول على درجات علمية من ماجستير ودكتوراه، فى حين عزوف كبار نقاد الأدب العربى عن التوجه لنقد أدب الأطفال، وتركوا الساحة خلوًا فاتجه الكتاب أنفسهم لمتابعة النتاج الأدبى الطفولى والكتابة عن بعضهم البعض، لإحساسهم بالغبن والتجاهل، فجاءت معظم هذه الدراسات متهافتة لأنها مبنية على اجتهادات شخصية، ولا تتناسب مع قيمة هذا الإبداع المتخصص، ومن ثم نجدد دعوة كبار نقادنا ـــ كما دعاهم من قبل أمير الشعراء أحمد شوقى ـــ أن يوجهوا جهودهم النقدية لخلق نظرية نقدية عربية خاصة بأدب الأطفال، باعتبارها رسالة سامية ولتقييم مشاريع إبداعية كبيرة لم تأخذ حقها من الدراسات النقدية الجادة، لذا نوجه أيضًا نظر نقادنا الشباب الجادين أن يوجهوا طاقاتهم النقدية لمتابعة أدب الطفل العربى.

## مراجع البحث :

١ـــ موفق رياض مقدادى ٢٠١٢ : البنى الحكائية.. فى أدب الأطفال العربى الحديث، الكويت، عالم المعرفة.

٢ـــ أحمد زلط : الخطاب الأدبى والطفولة، القاهرة، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٣ـــ أحمد سويلم ٢٠٠٣ : أطفالنا فى عيون الشعراء، القاهرة، مهرجان القراءة للجميع، سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

٤ـــ عبد التواب يوسف ١٩٩٥ : عن أدب الطفل، القاهرة، مكتبة الشباب، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٥ـــ عبد الفتاح صبرى : (ملف العدد) (٣) التراث فى القصة الموجهة للطفل.. القصة التى يكتبها الطفل الإماراتى نموذجًا، الإمارات، مجلة الرافد.

دار الكتب والوثائق القومية